الشان وهوان الجنة شانها ان يسارع اليها لنفاستها وهولاء يرغبون
عنها ويمتنعون منها حتى يقادون اليها بالسلاسل كما يقاد الاسير المكره
وقيل المراد بالتعجب لازمه وهو الاحسان الى المتعجب منه فانك
اذا قلت ما اعلم زيدا يلزمه انك تريد الاحسان اليه واكرامه فالمعنى
احسن ربك الى هولاء القوم حيث دعاهم الى الجنة وساقهم اليها
كرها قيل وهذا في حق العامة اما الخاصة فلا يحتاجون الى الايجاب
والتخويف والتحذير لان الله تعالى شرح صدورهم ونور بصايرهم
وكتب في قلوبهم الايمان وحبب اليهم الطاعات وبغض اليهم العصيان
فلم يحتاجوا الى شي من ذلك لتمام حريتهم من الاغيار التي تملك القلوب
فهم ملازمون لطاعته طوعا بل لو اكرهوا على تركها لم يستطيعوا
الصبر عنها وفايدة تكليفهم ح اظهار محبتهم كما يامر الملك وزراءه
الملازمين لحضرته بخدمته زيادة في القرب والتشريف اوجب
عليك وجود خدمته في الظاهر وما اوجب في الحقيقة ونفس
الامر الا دخول جنته لانه تعالى غني عن خلقه لا تنفعه طاعتهم
ولا تضره معصيتهم وانما اوجب الاعمال عليهم لما يرجع اليهم من مصالحهم
وهو دخول الجنة لا ليحصل له شرف بذلك وهذا تصريح بما علم مما
قبله لان حاصله انه تعالى انما اوجب على عباده طاعته لعلمه
بنهوضهم اليها فساقهم اليها بسلاسل الايجاب وسوقهم اليها بذلك لعدم
انما هو لامر يرجع اليهم وهو دخول الجنة بدليل الحديث عجب ربك
الخ فيؤول المعنى الى ان سوقهم الى طاعته وايجابها عليهم سوق الى
الجنة فلم يوجب عليهم الا دخولها وهو ما صرح به هنا من استغرب
ان ينقذه الله من شهوته التي استرقته وان يخرجه من وجود غفلته
التي استولت عليه اي من التمكنت فيه الشهوة والغفلة واستغرب

ان

ان يخرجه الله منها فقد استعجز اي فكانه استعجز قدرة الالهية اي
منسوبة الى الاله وفي بعض النسخ القدرة الالهية اي نسبها الى
العجز وكان الله على كل شي مقتدرا اي مع انه تعالى وصف نفسه
بالاقتدار على كل شي واخراجه من ذلك من جملة الاشيا فينبغي له
ان يقصد باب مولاه بالذلة والافتقار فعساه يسهل عليه ما استصعبه
ويظهر فيه ما استغربه وليعتبر هذا المعنى بالحكايات التي تؤثر عن
الصالحين الذين تقدمت لهم في بدايتهم الزلات ووقعت منهم قبل توبتهم
الهفوات فتداركهم الله بلطفه واصلح اعمالهم وصفى احوالهم كفضيل
ابن عياض وعبد الله بن المبارك وابي عقال بن علوان وغيرهم رضي
الله عنهم ربما وردت الظلم اي الشهوات والمعاصي والغفلات
عليك ليعرفك حال ورودها قدر ما من الله به عليك اي ما كان
تمن به عليك سابقا من الانوار والاقبال على مولاك فتحمده
عليها واذا رجعت الى حالك عرفت ان ذلك نعمة عظيمة فتكثر منك
الحمد والشكر فقد صارت النقمة نعمة وقد يكون سبب ورودها
ما حصل منك من الاعجاب بطاعتك فيوردها عليك لتعرف
قدرك ولا تتعدى طورك فلا تتكبر ولا ترى نفسك على ابناء جنسك
وهذه نعمة ايضا وقد ترد عليك عقوبة وامتحانا وعلامة ذلك
انك كلما خرجت من معصية وقعت في اخرى وهكذا ولا توفق للتوبة
ولا تفتقد التقصير من نفسك من لم يعرف قدر النعم بوجدانها
عرفها بوجود فقدانها هذا تعليل لما قبله كانه قال انما كان ورود
الظلم معرفا لقدر النعم لان الاشياء انما تتبين باضدادها فعند
وجود النقيض يظهر فضل المناقض فانما يعرف قدر نعمة البصر من
ابتلي بالعمى وقد قيل انما يعرف الماء من ابتلي بعطش البادية لا من كان

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)